في الأدب الغربي

معنى الشعر

للشاعر الأنكليزي درنكووتر

« المستر جون درنكووتر نزيل مصر الآن من انطاب الشعر الانكليزي الحاضر وله عدة مجموعات شعرية وقطع مسرحية شهيرة . ولد سنة ١٨٨٢ وبدأ حياته العملية كاتبا في إحدى وكالات التأمين . وهو الآن استاذ الادب الانكليزي بجامعة برمنجهام وأشهر مؤلفاته « إبرهام لنكولن » . وهي قطعة مسرحية رائعة . ومنها مجموعة شعرية عنوانها « رجال وساعات » وهي أولى مجموعاته و « القصبان » وغيرها . وقد دعت الجامعة المصرية المستر درنكووتر ليلقي خمس محاضرات عن الشعر الانكليزي ألقى الاولى منها يوم الخميس ١٧ فبراير في الجمعية الجغرافية الملكية . وموضوعها « معنى الشعر » وهذه خلاصتها »

قال مستر درنكووتر :

تقوم اليوم كثير من الصعاب الخطيرة والمسائل الهامة التي تزعج معظم دول العالم . وهذه المسائل تشغل عقول المفكرين جميعا . ولكن أحداً لم يوفق الى حلها . بيد أنهم على يقين من أمر واحد : هو أن هذا الحل لا يحقق مالم تتناول مسائلنا بروح متبادل من التفاهم وحسن النية . وهذا هو الجوهر . فالناس لا يودبعضهم لبعض سوى الخير ، ولكن ذلك لا يتم إلا بالاحتكاك الشخصي : فاذا ما اقتنعنا بوجوب التعامل بتعقل ، خفت متاعبنا .

« ورمز هذا الروح المشبع بالتفاهم وحسن النية : هو الشعر . فالشعر يعنى بالأشياء الكونية الخالدة الخالقة . والشعر يبعث الظل ، وتبديد النشاط البشري ، وخيبة الأمل . وقد خلق للاجتشام ، والتسامح ، والاحترام المتبادل »

« فما يشجع إذن أن يعمل شيء في تلك الأيام العصيبة لتقوية التفاهم بين الشعوب . وهذا بلد (يعني مصر) قد دعا شاعراً من بلد آخر ليأتي ثم يتحدث عن شعر بلاده . وهي بلاد ذات لغة وتقاليد ، وذات أغراض سطحية أخرى . فهذا في نظري أمر وافر الحكمة : وإني لفخور بأن أنتهز هذه الفرصة التي قد يعدها كثير من الساسة خارجة عن نطاق عملهم ، ولكني أراها عملا حراً كريما من أعمال السياسة »

ثم قال مستر درنكووتر . إنه سيحاول أن يبين في محاضراته أمرين : الأول أن يلفت النظر إلى جمال الشعر الانكليزي في ذاته . والثاني أن يبين أن الخلافات السطحية بين الشعر الأنكليزي والشعر المصري (العربي) ليست في الواقع أكثر من سطحية . وإنه عندما نتأمل الحقائق التي يعنى بها الشعر . نجد الحياة البشرية تضطرم في نفس الشاعر . سواء أكانت بين الفلاحين المصريين أم بين الفلاحين الانكليز . أو بين طلبة جامعة إكسفورد . وكامبردج أم بين طلبة جامعة القاهرة . أو شاعر أرلندي مثل يفس Yeats ، أو شاعر عربي مثل شوقي . ثم قال أنه قرأ « مجنون ليلى » التي ترجمها مستر اوبري . فدهش إذ رأى مبلغ ماهنالك من تشابه بينها وبين مايكتبه شاعر كمستر يفس

« ولكن يجب أن أقول أني لم أدهش . لأننا نعرف أن هذه هي طريقة الشعر . فالشعر لا يعرف الحواجز التي تقيمها بين الشعوب مصالح التجارة أو السياسة . بل تقيمها العادة والأقليم والشعر يذهب الى أعماق الحياة ويرى أن أعماق الحياة لا تختلف بالنسبة لمختلف الشعوب . وأنها واحدة في العالم بأسره »

« فاذا كنت أحدثكم فأرجو الا تعتبروني سائحاً من بلد أجنبي . ولكن صديقا يتحدث باسم الشعر عن أشياء يجب الا يظن متأملاها أن أحدهما غريب عن الآخر : واسمحوا لي أن أكون جريئاً . فاستمع عقولكم في بيت لشاعركم شوقي

ولست أعتقد ، بعد الذي عرفني به المصريون من العطف ، أني رجل متعثرضال.

ثم قال مستر درنكووتر : « ماهو الشعر ؟ يمكن أن نقول : أنه « الفن » فالفن في كل خواصه الجوهرية كالشعر سواء بسواء . والشعراء لا يخلقهم الشعر . ولكن الشعراء هم الذين يمدون العالم بعلم النظريات الشعرية . وإذن فالشعر هو فهم تام للتجارب . وإبراز هذا الفهم في صيغ الألفاظ . وعقولنا جميعاً مهما اختلفنا في الجنس واللون والمركز والآراء والأطماع تستقبل جميعاً في كل وقت أسفاراً ضخمة من التجارب . والمسألة هي كيف نفهم هذه التجارب .

(البقية على صفحة ٣٠)

كلمات فى البحث العلمى

ترجمة الاستاذ احمـــد امين

قال فرنسيس بكون :

«لم أجد نفسى صالحة لشىء صلاحيتها لدرس الحقيقة . ذلك أن منحت عقلا له من النشاط والمرونة ما يمكنه من ادراك وجوه الشبه بين الاشياء، وله من الثبات ما يعينه على تعرف وجوه الخلاف. ولأنى منحت نزعة فى البحث، وصبرا على الشك ، وغراما بالتفكير . وبطأ فى الجزم ، واستعدادا للنقد ، وعناية بالترتيب . ولأنى ليس لى ولع بالجديد . ولا اعجاب بالقديم ، وأكره كل أنواع الخداع . لذلك أرى أن لى طبيعة تألف الحقيقة ، ولها بها اتصال »

وقال هكسلى :

« اذا تكلمت عن الاغراض التى كانت نصب عينى من يوم أن بدأت حياتى العلمية فتلك باختصار هى أن أستزيد من المعلومات الطبيعية . وأن أطبق طرق البحث العلمى على كل قضايا الحياة جهد الطاقة وقد نما الاعتقاد عندى بأنه لا يخفف آلام النوع الانسانى الا الاخلاص فى الفكر . والاخلاص فى العمل، ومواجهة العالم كما هو بعزم ثابت بعد أن تمزق عنه ثوب الرياء الذى خلعه عليه المراءون »

وقال فارادى :

« يجب على الفيلسوف أن يصغى لكل رأى ، ولكن لا يكون مصدر الحكم الا نفسه ، لا يخدع بالظواهر ولا يميل الى فرض فروض خاصة ، ليس تابعا لمذهب معين ، وليس له فى اعتقاده استاذ ، لا يحترم الأشخاص ولكن يحترم الحقائق . غرضه الاسمى الوصول الى الحق . فأن هو أضاف الى ذلك الجد فى السعى كان خليقا أن يخترق حجب الظواهر ، ويصل الى حقائق العالم »

وقال السير مكاثيل فوستر فى خطبة له فى المجمع البريطانى سنة ١٨٩٩

« ان الصفات التى تلزم الباحث فى العلم ثلاث :

(١) يجب أن تكون طبيعته متموجة تموج ما يبحث عنه . فالباحث وراء الحق يجب أن يكون مخلصا للحق . والباحث فى أحوال الطبيعة الصادقة يجب أن يكون صادقا .

(٢) يجب أن يكون يقظ العقل . فأن الطبيعة انما تفهم بالاشارة أو تهمس فى الاذن باوليات أسرارها . فعلى الباحث أن يكون مستعدا لفهم اشاراتها مهما دقت ، ولسماع أصواتها مهما خفيت

(٣) الشجاعة . وأعنى بها التحمل والصبر »

وقال بيكون :

«ان الحق يظهر من الخطأ بأسرع مما يظهر من الخلط والغموض» فاذا بدأنا نحدد الخطأ بدأ الخطأ يختفى كالذى يحكى عن الجنى اذا بدا تجسد سنحت الفرصة للقبض عليه

وصور « داروين » اشتباك العالم تصويرا دقيقا محكما وسمى ذلك « نسيج الحياة » . فقال ان العالم كله سلسلة متصلة مشتبكة ، وأوضح ذلك بأن للقطط علاقة بمحصول البرسيم . وليس يقع طائر الا وقد يحدث من وقوعه أعمال واسعة النطاق . فالقطعة الصغيرة من الطين قد تعلق برجل الطائر ويرمى بها الى الارض فتصل بها بذرة « تنبت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة » وهناك دورة لا تنقطع للمادة والقوة فقد تؤثر (أ) فى (ى) ولو لم تعلم (ى) ، (أ) فهناك علاقة بين تقليل الأشجار ووباء الحشرات، وبين الطيور وانتثار البذور ، وبين ضوء الشمس وصيد انواع من السمك . وهذه الامثلة قد تظهر بادىء بدء كأنها ألغاز . ولكن اذا نبغت الارتباطات المتسلسلة وضحت وضوح الشمس

وقال آخر : « غرض العلماء أن يروا العالم شفافا وأن يجعلوه سيناء عقليا . صوره المعروضة أسباب متعاقبة تمر أمام أعيننا بدون انقطاع »

وقال كارل بيرسن :

« يجب على العالم أول كل شىء أن يزيل العوامل الشخصية من أحكامه . وأن يقدم على ما يقول برهانا تقبله عقول الناس كما يقبله عقله ، وأن يعنى بتقسيم الحقائق وملاحظة تسلسلها وارتباط بعضها ببعض . »

oooooooooooo

القرية المهجورة

للشاعر اوليفر جولدسمث

« تابع لما قبله »

أنى عليك زمان كله رغد ... يفيض فوق رباك الخير مطردا
وكان عهدك والفلاح مغتبط ... يأتى له الرزق من غلاته رغدا
لكن تكرت الأيام وامتلكت ... هذى البلاد قساة أغلظوا الكبدا
فعطلت من ليالى الأنس أربعها ... والأهل قد هجروها، لا أرى أحدا

.....

« أوبرن » يا لمحة السحر التى اختلست ... لقد طواك زمان كله غيرُ
لكم رجعت اليك اليوم مكتئبا ... والنفس ولهانة والقلب متفطر
أرتاد فيك مكانا كان يؤنسه ... ظليل كوخك أو نسرينك العطر
فتملأ الذهن أفكار تراوحنى ... بذكريات عهود كلها صور

.....

لما رمت بى النوى فى دار غربتها ... وذقت فيها نصيب الحزن والتعب
ركبتها ولقلبى الصب أمنية ... فى أن يكون إلى « أوبرن » منقلبى

وكنت أحرص فى جهدى الطويل على ... قنديل عمرى حرص المشفق الحدب
ألكى أقضى فى قومى بقيته ... أروى لهم كل مالاقيت من عجب

دعوهم حول نيرانى لأطرفهم ... بعد العشى باخبارى وأهوالى
كأننى أرنب فى الدو أفزعها ... صيد فعدت لوكرى بعد إجفال
قد كنت أحلم فى آفاق دسكرتى ... وكان عودى إليها جل آمالى
هذاك أحسن شىء سحر بهجتها ... وذاك خير معادا تربها الغالى

ياعزلة الريف يامكنون روعته ... يا إلف شيخوخة الإنسان فى الكبر
آهاعلى طيب أحلام رزئت بها ... وسدتها فيك بين الماء والشجر
ماكان أصفى نعيم المر لو ختمت ... مشيبه راحة فى دوحك الخضر
يجفو الحياة وماتحويه من خدع ... غرارة ونعيم غير ذى أثر

ماكان أعذب ذاك الصوت سيرسله ... وحى المساء ليفنى فى أصائلك
قد كنت أمشى ويدا الخطو منتشيا ... أصغى له وهو يعلو من منازلك
والليل أرخى على الراعى ستائره ... فخب يحدو الرواعى فى خمائلك
وقد تهادى الأوز الغر فى شغف ... على مياهك . يلهو فى جداولك

يالهف نفسى عليك اليوم قد سكنت ... عن سكب ألحانها هذى الأغاريد!
لم يبق فى الغاب من صوت يجاوبه ... صدى الكون ولا للريح ترديد
ولم تعد فيك تحيى الأنس ثانية ... فى الليل فتانك الطيب الصناديد
لم يبق غير عجوز جد عانية ... أو ثاكل هدها هم وتسهيد

قد أكرهتها حياة لاتبلها ... من مأكل خشن أو مشرب رنق
فقوست ظهرها فوق الضفاف على ... هشائم العشب تجنيها أو الورق
ثم ترجع فى ضعف يغالبها ... لكوخها . توقد النيران فى الغسق
ظلت لتبقى على الوادى مؤرخة ... له وتطوى بقايا العمر فى قلق

هناك فى أجمة كانت تشارفها ... أشجار مهتزة الأزهار فيحاء!
قد أوحشتها غصون لاتشنيها ... عناية فتدلت جد لفاء!
هناك . من بين أغصان محطمة ... تغشى المكان . وبين الظل والماء
يقوم مرتبع القسيس فى خفر ... مستحيا يتوارى تحت أفياء!

قد كان شيخا وقور الذات متقيا ... يخشى إلاله ويقضى الليل أوابا!
يعده القوم من أهل اليسار وإن ... لم يحو غير التقى ذخرا وأسلابا!
وكان فى الناس محبوبا ومحترما ... يلقى الغريب ويلقى الأهل أحبابا!
لم يغرب المدن من إثم يطوف بها ... بل كان يطوى القرى للوعظ جوابا!

مازال سائله المسكين يقصده ... وضيفه الشيخ يرعاه بلا برم!
ولم يزل يجلس الجندى مصطليا ... فى داره موقد النيران من أمم!

يروى له كل مالاقى ـ وتلذعه ... نار الجراح فيشكو شدة الألم
والشيخ جانبهم دوما يقاسمهم ... آلامهم بحنان غير متهم

يظل كالطائر الشادى يرف على ... صغاره فوق أغصان الخيلات
يحتال كيما يطيروا . ثم يحملهم ... إلى جناب خصيب فى السموات!
قد راح يزجر من يبطى ويسعفه ... إذا تخلف عن طير الجماعات!
يهديهم نحو كون لا يطوف به ... غير السعادة فى علوى جنات[1]!

م . ع . الهمشرى

---

(١) أهدى هذه القصيدة إلى صديق العمال قلص الملائكة الطيب (ى . ع) كذكرى خلده لأيام المسرورة الخالية .

معنى الشعر

(بقية المنشور على صفحة ٢٨)

والعقل القوى دائماً سيد تجاربه ؛ وهنا يتدخل الشاعر . فالشاعر لايختلف فى النوع عن أقرانه . ولكنه يحتاج الى فهم أعمق لهذه التجارب . وهذا الاجهاد ، وهذه الرغبة ، وهذه الضرورة هى المجد ، وهى المأساة فى حياة الشاعر . هى المجد اذا استطاع أن يرضى هذه الضرورة ؛ وهى المأساة لأن معظم هذه التجارب لا يمكن أن يحقق ويفهم .

والشاعر يعتبر أحياناً محسناً عاما : وهذا صحيح الى حد ما ؛ ولكن الشاعر لم يكن قط باختياره محسناً خلقياً . فالشاعر حين يكتب لايفكر فى فعل الخير ؛ فهو يتفهم تجاربه فقط . واذا اعتقد الشاعر نفسه محسنا عاما ، فانه يتعثر فى عمله . ذلك لأنه يفكر عندئذ فيما قد يراه الناس فى عمله ، ويكتب تحت هذا الأثر ، بدلا من أن يقول الحقيقة .

ثم قال : أن الشعر فى كل أمة يتأثر الى حد ما بالأقاليم والمناظر وما إليها . وأن مناظر الخريف الانكليزى وتأثير أوراق الشجر ، والسماء الشهباء ، وفصل الكآبة ، قد أثرت فى عقول الوقف والوقف من الانكليز . ولكن رجلا واحداً لاحظها وفهمها ؛ ثم أخرج منها أصدق صورة ، وصاغ قطعة من أبدع ماقى الشعر الانكليزى ؛ وكان هذا الرجل شكسبير . وكذا البلبل وأغاريده ، فقد نفذت الى ذهن فتى يقيم فى ضاحية لندن فاخرج عنها قصيدته الخالدة « نشيد الى البلبل » وكان هذا الشاعر كيتس .

« والفن كله هو التعبير عن التجارب : ولكن الشعر لا يعبر عنها إلا باللفظ . وذلك صعب لأن الألفاظ تستعمل التعبير عن كثير من الأشياء العادية . ولذا وجب أن يستعمل الشاعر الألفاظ بطريقة تجعلها حية دائماً . والشعر أعظم من الشعراء ، فهؤلاء يموتون ، ولكن شعرهم يبقى دائماً حياً صبوحاً »

عنان